الباب الثاني

الرسالات السماوية

الفصل الأول

الإيمانُ بالرّسالاتِ

وجوب التصديق بالرسالات

من أصول الإيمان التصديق الجازم بالرسالات التي أنزلها الله إلى عباده بواسطة رسله وأنبيائه ، والتصديق بأنهم بلّغوها للناس ، قال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ « سورة الأعراف/١٤٤ » .

وقد أثنى الله على رسله الذين يبلغون رسالاته ولا تأخذهم في الله لومة لائم ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ ﴾ « سورة الأحزاب/٣٩ » .

وقد كان هلاك الأمم بسبب التكذيب برسالات الله ، انظر إلى موقف صالح بعد أن حلَّ الهلاك بقومه : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ « سورة الأعراف/٧٩ » وموقف شعيب بعد هلاك قومه ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ ، وَقَالَ : يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ . ﴾ « سورة الأعراف/٩٣ » .

الايمان بالرسالات كلها

والذي أوحاه الله لرسله قد يكون نزل من السماء مكتوبا كالتوراة التي أنزلت على موسى ، قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ « سورة الأعراف/١٤٥ »

وقد يكون كتابا ولكنه أنزل إلى الرسول بالتلاوة والمشافهة كالقرآن ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** ﴾ « سورة الإسراء/١٠٦ » .

والمنزل من السماء قد يجمعه كتاب كصحف ابراهيم والكتب المنزلة على موسى وداود وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم ، وقد يكون وحيا يلقى الى الرسول أو النبيّ ، وليس بكتاب ، وذلك كالوحي المنزل إلى اسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط والموحى به إلى نبينا من غير القرآن .

ويجب الإيمان بالوحي المنزل كلّه ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ « سورة البقرة/١٣٦ »

وقال الله لرسوله ﴿ **وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ** ﴾ « سورة الشورى/١٥. » وقال للمؤمنين : ﴿ **يَـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ** ﴾ « سورة النساء/١٣٦ » . فما أعلمنا الله به تفصيلا كالكتب التي ذكرها وهي صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى والقرآن المنزل على محمد ﷺ ، وكتكليم الله لموسى ، وإيحاء الله إلى صالح وهود وشعيب ، ووحي الله إلى رسوله محمد ﷺ من غير القرآن وقد تضمنته كتب السنة ـ نؤمن به تفصيلا كما أخبر الله تعالى ، ونؤمن بأنَّ هناك كتبا ووحيا غير ذلك لم يعلمنا الله سبحانه بها .

كيف يكون الإيمان بالرسالات

ونحن نؤمن بما جاء في الكتب السماوية السابقة . وأنَّ الانقياد لها ، والحكم بها كان واجبا على الأمم التي نزلت اليها الكتب ونؤمن بأنَّ الكتب السماوية يصدق بعضها بعضا ، ولا يكذّب بعضها بعضا ، فالإنجيل مصدق للتوراة ، قال الله في الانجيل ﴿ **مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ** ﴾ « سورة المائدة/٤٨ » .

ومن أنكر شيئا مما أنزله الله فهو كافر ﴿ **وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُلِهِ**

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾ « سورة النساء/١٣٦ » وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ « سورة الأعراف/٤٠ » .

ونصدق بنسخ الشريعة اللاحقة للشريعة السابقة كليا أو جزئيا ، فقد أحل الله لآدم تزويج بناته من بنيه ثمَّ نسخ هذا ، ومما كان مباحا ليعقوب أن يجمع الرجل بين اختين في الزواج وفعله يعقوب ، ثمَّ نسخ ، والإنجيل أحلَّ بعض ما حرّم في التوراة ﴿ وَمُصَدِّقاً لَمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ « سورة آل عمران/٥٠ » .

والقرآن نسخ الكثير مما في التوراة والإنجيل ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ « سورة الأعراف/١٥٧ » .

القرآن لا يكفي فيه مجرد التصديق .

الإيمان بالكتب السماوية السابقة تصديق جازم بها ، ومجرد التصديق لا يكفي في القرآن ، فلا بدَّ مع التصديق من الأخذ به والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه ﴿ الَمَصَ ، كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ، لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ، اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ، قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ « سورة الأعراف/١ ـ ٣ » .

فالقرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يصلنا بالله بعد بعثة الرسول ﷺ ، يقول الرسول ﷺ مخاطبا أصحابه : « أبشروا ، فإنَّ هذا القرآن بيد الله ، وطرفه بأيديكم ، فتسمكوا به ، فإنَّكم لن تهلكوا ، ولن تضلّوا بعده أبدا » رواه الطبراني في الكبير[1] .

---

(١) حديث صحيح ، صحيح الجامع (١/٦٦) .

فالقرآن هو العصمة من الضلال والهلاك لمن تمسك به ، وقد أكثر الرسول ﷺ من حثّ الأمّة على التمسك بهذا الكتاب ، ففي احدى خطبه قال : « أما بعد ، ألا أيها الناس ! فإنّما أنا بشر ، يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ، ومن أخطأه ضلّ ، فخذوا بكتاب الله تعالى ، واستمسكوا به ، وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » رواه مسلم وأحمد[1] .

والفتن التي تمرُّ بالمسلم وتعصف بالأمة لا سبيل للخلاص منها إلا بالأخذ بهذا الكتاب ، وما أجمل هذا الوصف لكتاب الله ! « كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لاتزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا تنقضي عجائبه ، ولاتشبع منه العلماء ، من قال به صدق ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم »[2] .

---

(١) صحيح الجامع (١/٤٢٦) .

(٢) هذا حديث رواه الترمذي وغيره قال الشيخ ناصر فيه (شرح الطحاوية ص ٦٨) : هذا حديث جميل المعنى . ولكن اسناده ضعيف ، فيه الحارث الأعور ، وهو لين ، بل اتهمه بعض الأئمة بالكذب . ولعل أصله موقوف على عليّ فأخطأ الحارث فرفعه إلى النبي ﷺ .